الزواج في مرآة الشباب

قراءةٌ تحليليةٌ بين الخطاب اللاهوتيّ والواقع المُعاش

لطالما شغل الزواج موقعًا مركزيًّا في الوعي الكنسيّ –ويتناول هذا المقال الواقع الإنجيليَّ– بوصفه حجر الزاوية في بناء الأسرة، ونقطة ارتكازٍ للاستقرار الاجتماعيّ والخدمة الروحية. غير أن السنوات الأخيرة شهدت تحوُّلًا ملحوظًا في طريقة تعاطي الشباب مع هذا المفهوم؛ فلم يعد السؤال يدور حول توقيت الزواج بقدر ما بات يتمحور حول جدواه، ولا حول إمكانيَّته بل حول القدرة على الاستمرار فيه.لا يعكس هذا التحول تراجعًا في قيمة الزواج ذاتها، بقدر ما يكشف عن حالة قلقٍ عميقةٍ يعيشها جيلٌ يواجه واقعًا اقتصاديًّا ضاغطًا، وتغيراتٍ ثقافيةً متسارعةً، وتجارب فشلٍ زواجيٍّ باتت حاضرةً بقوَّةٍ في محيطه القريب. وفي ظل هذا المشهد، تظهر فجوةٌ متناميةٌ بين الخطاب اللاهوتيّ المثاليّ الذي يُقدَّم في السياقات الكنسية، وبين الواقع النفسيّ والاجتماعيّ الذي يعيشه الشباب يوميًّا.

من هنا تنطلق هذه الدراسة الاستكشافية، محاولةً الاقتراب من سؤالٍ جوهري:

كيف يرى الشاب المسيحيُّ–الإنجيليُّ الزواجَ اليوم؟

وما الذي ينتظره، أو يفتقده، من الكنيسة في هذه المرحلة الحسَّاسة من مسيرته الحياتية؟

أولًا: أداة الدراسة الاستكشافيّة

سعيًا لفهم هذه الرؤية من داخلها، وليس بواسطة افتراضاتٍ مُسبقةٍ، صُمِّم استبيانٌ نوعيٌّ استهدف فئة الشباب ما بين 18 و35 عامًا. وبُنيت أداة الاستبيان على ثلاثة محاور رئيسةٍ: الخلفية العامة، التصوُّر الذاتيُّ للزواج، وتقييم الدور الكنسيّ.

وإليكم نموذج الاستبيان:

القسم الأول: بياناتٌ عامَّةٌ

1. الفئة العمرية

- 18–22
- 23–27
- 28–35

2. الحالة الاجتماعية

- أعزب/عزباء
- مرتبط/مخطوب
- متزوِّج (حديثًا)

القسم الثاني: الرؤية العامة للزواج

3. كيف تصف نظرتك العامَّة للزواج؟

- إيجابيةٌ ومشجِّعةٌ
- مترَدِّدةٌ
- سلبيةٌ
- غير واضحةٍ

4. ما أكثر ما يشغلك عند التفكير في الزواج؟ (يمكن اختيار أكثر من إجابة)

- الاستقرار الماديُّ
- اختيار الشريك المناسب

- الخوف من الفشل أو الطلاق
- التوافق الروحيُّ
- حجم المسؤولية
- نظرة المجتمع

القسم الثالث: الكنيسة والزواج

5. هل تشعر أن تعليم الكنيسة عن الزواج قريبٌ من واقعك؟

- نعم، قريبٌ جدًّا
- قريبٌ إلى حدٍّ ما
- غير قريبٍ

6. هل تشعر بضغطٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ من الكنيسة تجاه الزواج؟

- نعم
- أحيانًا
- لا

7. هل تجد مساحةً آمنةً في الكنيسة للحديث بصراحةٍ عن العلاقات والزواج؟

- نعم
- إلى حدٍّ ما
- لا

8. **كيف تقيِّم دور الكنيسة في إعداد الشباب للزواج؟**

- جيِّدٌ
- متوسِّطٌ
- ضعيفٌ

القسم الرابع: أسئلةٌ مفتوحةٌ– الإجابات نصِّيةٌ

9. ما أكثر شيءٍ تخشاه في الزواج؟

10. ما أكثر شيءٍ تتمنَّى أن ينجح في زواجك المستقبليّ؟

11. برأيك، ما الذي تحتاجه الكنيسة لتدعم الشباب بشكل أفضل في موضوع الزواج؟

ثانيًا: قراءةٌ في النتائج

رغم محدودية العيّنة (10 شباب)، فإن الإجابات تكشف عن اتّجاهاتٍ واضحةٍ تعكس ملامح الوعي الزواجيّ لدى هذا الجيل.

1– بين الرغبة والرهبة: خريطة المشاعر

أظهرت النتائج أن أربعة مشاركين عبَّروا عن نظرةٍ إيجابيةٍ للزواج، مقابل أربعةٍ آخرين اتَّسم موقفهم بالتردُّد، بينما بقي اثنان في منطقةٍ ضبابيةٍ تفتقر إلى الحسم. الدلالة الأساس هنا أن الزواج لا يُرفَض بوصفه مبدأً، لكنه لم يَعُد يُستقبل بوصفه ملاذًا آمنًا تلقائيًّا. لقد تحوَّل في وعي كثيرين إلى مشروعٍ يحتاج إلى حساباتٍ دقيقةٍ، في ظلِّ تجارب محيطةٍ تُظهر أن النية الحسنة وحدها لا تضمن النجاح.

2– قلقٌ نفسيٌّ لا لاهوتيّ

عند تحليل الهواجس الأكثر تكرارًا، برزت ثلاثيةٌ واضحةٌ: الخوف من الفشل، الاستقرار الماديُّ، وسوء الاختيار.

اللافت أن هذا القلق لم يكن مرتبطًا بالتشكيك في قدسية الزواج أو قيمته الكتابية، بل في القدرة الشخصية على تحمُّل أعبائه وإنجاحه. الفشل هنا لا يُفهم فقط بوصفه طلاقًا رسميًّا، بل بصفته حياةً زوجيةً خاويةً من السلام والمعنى، تستمرُّ شكليًّا وتنهار داخليًّا.

3- فجوة الخطاب: بين المنبر والشارع

أفاد مشاركان فقط بأن التعليم الكنسيَّ قريبٌ جدًّا من واقعهم، في حين توزَّعت بقية الإجابات بين "إلى حدٍّ ما" و"غير قريبٍ". ويشير هذا إلى شعورٍ شائعٍ بأن الكنيسة، رغم إخلاصها اللاهوتيّ، لا تشتبك بما يكفي مع تعقيدات الحياة المعاصرة؛ فغياب الحديث الجادِّ عن الصحَّة النفسية، الذكاء العاطفيّ، إدارة الخلاف، والاستقلال الماديّ، يجعل الشابَّ يشعر بأن الإرشاد الروحيَّ لا يكفي وحده لمواجهة الواقع.

4- الضغط الثقافيُّ بغطاءٍ دينيّ

أقرَّ سبعةٌ من أصل عشرةٍ بوجود ضغطٍ كنسيّ (بدرجاتٍ متفاوتةٍ) نحو الزواج. وهذا الضغط لا يُمارَس غالبًا بواسطة تعليمٍ مباشرٍ، بل عَبْرَ مناخٍ ثقافيّ يحتفي بالمتزوّجين، ويضع العزاب في خانة "المرحلة المؤقَّتة". هذا الإحساس بالاستعجال قد يقود أحيانًا إلى قراراتٍ غير ناضجةٍ، تُتَّخذ هروبًا من الضغط لا استجابةً لدعوةٍ واعيةٍ.

ثالثًا: ما تقوله المساحات المفتوحة- قراءةٌ نوعيةٌ أعمق

في الأسئلة المفتوحة، عبَّر الشباب بصدقٍ لافتٍ عن مخاوفهم وتطلُّعاتهم، ما أتاح نافذةً أعمق لفهم وجدانهم.

1- هاجس الطلاق وسوء الاختيار

تكررت الإشارة إلى الطلاق بوصفه الخوف الأكبر، وفي سياقٍ إنجيليٍّ لا يتسامح اجتماعيًّا مع الفشل الزواجي، يتحوَّل سوء الاختيار إلى عبءٍ نفسيٍّ ثقيلٍ، يخشى معه الشابُّ فقدان السلام الداخليّ، أو العيش في علاقةٍ بلا حياةٍ حقيقيةٍ.

2- شوقٌ إلى الشراكة لا التبعية

تجلَّت رغبةٌ واضحةٌ في زواجٍ يقوم على الشراكة المتكافئة، والاحتواء، والنضج الروحيّ العمليّ. لم يكن الحديث عن طقوسٍ أو ممارساتٍ دينيةٍ شكليةٍ، بل عن إيمانٍ يُترجم إلى سلوكٍ يوميٍّ ومسؤوليةٍ مُشتَرَكَةٍ.

3- مطالب واضحةٌ من الكنيسة

يمكن تلخيص ما يطلبه الشباب في ثلاث نقاط أساس:

- ✓ حوارٌ صادقٌ يعترف بالمخاوف دون إدانة.
- ✓ نماذج حقيقيةٌ تتحدَّث بصدقٍ عن التحدِّيات لا عن الصورة المثالية فقط.
- ✓ إرشادٌ ممتدٌّ لا يتوقَّف عند حدود دورات ما قبل الزواج، بل يرافق الأزواج في سنواتهم الأولى الحَرِجة.

رابعًا: تأمُّلاتٌ "نحو مقاربةٍ أكثر إنسانيةً"

تكشف هذه الدراسة –رغم طابعها الاستكشافيّ ومحدودية عيِّنَتِها– أن الشباب الإنجيليَّ لا يعيد تعريف الزواج في جوهره أو في قيمته اللاهوتية، بقدر ما يعيد تعريف الطريقة التي يريد أن يعيشه بها. فالمسألة لا تتعلَّق برفض الفكرة أو التشكيك في قدسيَّتها، بل بإعادة النظر في الشروط الإنسانية والنفسية التي تجعل فكرة الزواج قابلةً للحياة والاستمرار.

إنهم جيلٌ لم يَعُد ينجذب إلى الشعارات الكبرى بقدر ما يبحث عن الخبرة الواقعية، ولم يَعُد يكتفي بنماذج مثاليةٍ مجرَّدةٍ بقدر ما يتوق إلى مساراتٍ قابلةٍ للتطبيق وسط تعقيدات الحياة اليوميّة.

ومن هنا، يتَّضح أن الشباب لا يسعَون إلى الكمال بقدر ما يطلبون الأمان؛ أمانًا نفسيًّا يسبق الأمان العاطفيَّ، وأمانًا إنسانيًّا يساند الالتزام الروحيَّ. هم لا يهربون من فكرة الزواج ولا من ثقل المسؤولية، بل من الدخول في علاقةٍ مصيريةٍ دون أدواتٍ حقيقيةٍ للفهم، ودون مهارات لإدارة الخلاف، ودون وعيٍ كافٍ بالذات وبالآخر. الالتزام، في حدِّ ذاته، ليس مصدر الخوف، إنما الخوف يكمن في الالتزام الأعمى الذي لا يستند إلى نضجٍ داخليٍّ واستعدادٍ واقعيٍّ.

كما تكشف هذه الرؤية عن تحوُّلٍ أعمق في وعي الشباب؛ إذ لم يَعُد الزواج يُفهم بوصفه "حلًّا" لمشكلات الوحدة أو الفراغ، بل بصفته مساحة شراكةٍ تتطلَّب أشخاصًا أصحَّاء قبل أن تُنتج علاقةً صحِّيةً. يضع هذا التحوُّلُ الكنيسةَ أمام مسؤوليةٍ رعويةٍ جديدةٍ: الانتقال من تقديم الزواج بوصفه غايةً يجب الوصول إليها، إلى مرافقة الشباب في رحلة التشكُّل الإنسانيّ والنضج الروحيّ التي تجعل الزواج ثمرةً طبيعيةً، لا عبئًا إضافيًّا.

بهذا المعنى، فإن المقاربة الأكثر إنسانيةً لا تعني تمييع اللاهوت أو تخفيف المعايير، بل تعني تجسيدها في واقع البشر كما هم، لا كما نتمنى أن يكونوا. فكنيسةٌ تُصغي بعمقٍ لمخاوف شبابها، وتتعامل معها بجدّيةٍ واحترامٍ، هي كنيسةٌ لا تحمي الزواج فقط، بل تحمي الإنسان الذي دُعي ليحياه.

الخاتمة

سيبقى الزواج أمرًا مقدَّسًا، لكنه يُعاش في نهاية المطاف بين بشرٍ محدودين، يتعلَّمون بالتجربة والخطأ. إن كنيسةً تُصغي بصدقٍ لمخاوف شبابها، هي كنيسةٌ قادرةٌ على بناء بيوتٍ ثابتةٍ، لا تقوم على المثالية، بل على النضج والمسؤولية والمحبَّة الواعية. فالحياة الزوجية ليست مجرَّد تنفيذ نصوصٍ أو اتباع تقاليدٍ، بل رحلةٌ مشتركةٌ من التفاهم والنموِّ اليوميّ. والأهمُّ أن يدرك الشباب أن الحبَّ والشراكة مسؤوليَّتان تتطلَّبان صبرًا ومرونةً، وأن الخطأ جزءٌ طبيعيٌّ من التعلُّم والنضج. من خلال دعم الكنيسة المستمرّ، يمكن للشباب أن يواجهوا التحدّيات بثقةٍ، وأن يبنوا علاقاتٍ تقوم على الاحترام المتبادل والتقدير العميق لكل فردٍ. بذلك يصبح الزواج ليس مجرَّد حدثٍ اجتماعيٍّ أو لحظة احتفالٍ، بل مسار حياةٍ يتطلَّب التزامًا واعيًا وشجاعةً شخصيةً مستمرَّةً.